

كما ورد عبر كلام رئيس الوزراء حول موافقة الملك عبد الله على اقتراحاته: «وهل يحق لي ان ابدى اقتراحات او ان اتحدث باسم صاحب الجلالة دون عرضها عليه وموافقة عليها.» (٢٠٧)

وفي الخامس عشر من آذار (مارس) ابرمت معاهدة التحالف بين بريطانيا والاردن لمدة عشرين سنة، وبهذه المعاهدة اصبحت ارض الاردن ومطاراته وموانئه مفتوحة للجيش البريطاني في اي وقت، كما اصبح من حق كل فريق ان يبادر فوراً الى مساعدة الفريق الآخر في حالة الحرب، وقد بدا للجميع من خلال هذه المعاهدة ان بريطانيا قد ابتدأت تفتح لها حساباً جديداً في بنك السياسة الدولية في الشرق الاوسط، بينما هي تغلق حسابها القديم في فلسطين.

وفي فلسطين كان القتال مستمراً، وكانت جامعة الدول العربية قد اعلنت مسؤوليتها الكاملة تجاه هذه الحرب وتجاه فلسطين مرات لا تحصى في قراراتها وبياناتها. وقبل الخامس عشر من ايار (مايو) بأسبوعين اعلنت الجامعة عن اتفاق الدول العربية على دخول جيوشها ارض فلسطين، وعن تعيين الملك عبد الله قائداً لها، وقد قيل الكثير الكثير حول تلك المرحلة وحول الدول العربية وحول الجامعة العربية، وننقل بالحرف الواحد ما كتبه الملك عبد الله في مذكراته، ففيها اعتراف جزئي بالامر الواقع، ولكنه واضح:

الجامعة العربية صوت فاه به نوري السعيد وتلقفه مصطفى النحاس باشا وأيده مستر اتوني ايدن، فهو جراب ادخلت فيه سبعة رؤوس- اليمن ونجد والعراق والشام ولبنان ومصر وشرق الاردن- بسرعة عجيبة في وقت كانت فيه سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وشرق الاردن تحت الانتداب البريطاني، والعراق ومصر تحت المعاهدتين الساريتين الى الآن، فالدول العربية كانت حينذاك في قيود انتدابية وعهدية، ما عدا اليمن ونجد فانها كانتا حرتين. وفي هذا يتجلى للامة العربية التسابق العجيب بين دولها السبع سباق بين مقيد ومطلق، اما قيد احتلال واما قيد عهد واما قيد جهالة، وفي نظر الدول نفسها نعم الحجاب الساتر لما يريدون كتمه، ونعم التمدح غير المجدي بما يريدون اذاعته. وطن الغريب الراضي عن هذه الجامعة انها ستكون خير أداة لدوام الانتدابات ودوام الاحكام العهدية، واني تارك لغيري تفسير هذه الظنون. (٢٠٨)

وتنتهي مذكرات الملك دون جواب على السؤال الرئيسي: لماذا تأخرت الجامعة العربية في دعوة رؤساء الاركان لدراسة القوى العسكرية؟ هل كان هناك لابرام المعاهدة الاردنية- البريطانية في آذار (مارس) علاقة بتأخير تلك الدعوة حتى نيسان (ابريل)، ولماذا ايضا تقدم الملك لقيادة الجيوش العربية وهي على تلك الحالة؟ انه لم يتعرض في مذكراته الى هذه «التكملة». وواضح جداً ان الملك يلقي باللوم كله على الجامعة العربية، وكأن بلاده ليست عضواً فيها وكأنه لم يمل ارادته الشخصية على الجامعة، في

(٢٠٧) جريدة البقعة، العدد ٢٥١، ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٨، نقلاً عن: عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٦٥-٦٧.
(٢٠٨) مذكرات الملك عبد الله، الطبعة الرابعة، نشرها أمين أبو الشعر، ص ٢٣٨.

كثير من المواقف ومنها طلبه قيادة الجيوش العربية، وتستطيع كل دولة بالمقابل ان تلقي باللوم كله على الجامعة العربية وتدعي انها بريئة هي الاخرى. وعلى الرغم من وعي الكثيرين من اهالي فلسطين على هذه الحقيقة، فالشعب ما كان باستطاعته وهو يقاتل قتالاً بطولياً سوى الانتظار، والتعلق بالامل، امل النصر المحتم بدخول الجيوش العربية، واصبح يوم الخامس عشر من ايار (مايو) هو اليوم العظيم المرتقب.

وبينما كان القتال مستمراً، كانت حكومة الانتداب مستمرة ايضا في انحيازها الواضح لليهود، وذلك في منحهم التسهيلات والمساعدات. وعلى الرغم من انكار اليهود الصهاينة للدور الانكليزي ومحاولتهم تصوير الحرب الفلسطينية لاجيالهم على انها كانت حرب البطولات اليهودية، لا غير، وان دور الانكليز لم يكن منحازاً الا لاعدائهم العرب، فان الحقائق كلها تنكر هذه الاقوال، والشيء الوحيد الصحيح فيها هو ان بعض المقاتلين اليهود حاربوا بشجاعة فعلاً، وحاربوا عن عقيدة، واستماتوا في سبيل هدفهم، كما انهم لم يعتمدوا على التسهيلات والمساعدات الانكليزية وحدها، فقد كان لهم تخطيط وبرنامج يسعون الى تنفيذه، كما كانت المبادرة السياسية قد اضحت الى جانبهم، والمبادرة العسكرية في الداخل بيدهم، وخاصة منذ أوائل شهر نيسان (ابريل).

قبل نيسان (ابريل) كان زمام الموقف العسكري بيد العرب على الرغم من كل النقائص التي اشرنا اليها في قيادتهم العسكرية والسياسية، وعلى الرغم من التفاوت الكبير في التدريب، وحتى في عدد المقاتلين بينهم وبين اليهود. ويكفي من حيث المقارنة العامة ان نذكر ان اليهود كانوا يدرّبون شبانهم منذ سنة ١٩٢٠، وبموافقة السلطات التامة، وقد استفادوا من الحرب العالمية الثانية الى اقصى الدرجات، وخرجوا منها بآلاف المقاتلين والمدربين والمستودعات من الاسلحة، بينما العرب، لم تنح لهم طوال عهد الانتداب فرصة التدريب على الاطلاق، وكان جزء من ينادي بذلك هو السجن، وجزء من يحمل السلاح هو الاعداء، وقد بقيت هذه الاحكام سارية المفعول منذ صدور قانون الطوارئ في سنة ١٩٣٦، وحتى نهاية الانتداب، وقد بلغ عدد من اعدم شنقاً بناء على احكام قانون الطوارئ مائة وثمانية وأربعين شهيداً، ولذلك لما قامت منظمتا النجادة والفتوة بروح عسكرية وثابة لم تتمكن من التدريب الفعلي والجدي (٢٠٩). ولم يتح للعرب التدريب الا بعد صدور قرار التقسيم وبناء على الامر الواقع الذي حاولت السلطة غض النظر عنه لأول مرة، ومع ان التدريب كان تدريباً سريعاً جداً، الا انه كان الرصيد العسكري الوحيد بالاضافة الى رصيد الخبرة التي جناها الثوار من الثورة السابقة.

واستطاع هؤلاء مع اخوانهم المتطوعين العرب ان يتغلبوا بايمانهم وشجاعتهم على النقص في السلاح، وفي نوعية السلاح، وفي تفكك قيادتهم العسكرية العليا، فتفوقوا على اليهود في اعمال النصف ومعارك الطرق، وخاصة طريق القدس- يافا، وفي الهجوم على المستعمرات، وخاصة مستعمرات الخليل

(٢٠٩) John and Hadawi, op. cit., Vol. II, p. 280.